المؤتمر التاسع عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب

(الدار البيضاء من ٥ إلى ٨ يناير ١٩٩٥)

عبد الحقّ لَبيَض

اتسمت جلسة الافتتاح (يوم الخميس ٩٥/١/٥) بحضور وجوه سياسية ونقابية وحقوقية وفنية. كما تخللتها ثلاث كلمات ألقاها كل من وزير الشؤون الثقافية السيد علال سيناصر والأمين العام للاتحاد العام للأدباء العرب السيد فخري قعوار ورئيس اتحاد كتاب المغرب الشاعر محمد الأشعري. في البداية تناول الكلمة السيد وزير الشؤون الثقافية[1] فعبّر، من خلالها، عن الدور الحيوي والجهود الحثيثة لاتحاد كتاب المغرب بغية تفعيل الثقافة داخل المجتمع، معلناً بالمناسبة، موافقة جلالة الملك على تمتيع اتحاد كتاب المغرب بصفة الجمعية ذات النفع العام. بعد ذلك تطرق لجملة قضايا تخص الثقافة والحرية والإبداع. وأما الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب السيد فخري قعوار فقد ذكّر في بداية كلمته بحساسية الظرف الذي ينعقد فيه المؤتمر التاسع عشر للاتحاد قائلاً: ((نلتقي اليوم في ضيافة أشقائنا أدباء المغرب وكتابه لنرى بعقولنا حالة الانكسار الممتدة على مساحة الوطن الكبير)). وأبرز قعوار، في الآن ذاته، ضخامة المسؤولية التي يتحملها المثقفون العرب إزاء أمتهم العربية: ((وإذا كانت أمتنا ترنو وتطمح في أن نكون مرآتها والمعبّر المخلص عن تطلعاتها فإن المسؤولية تقضي بأن نكون على مستواها وبحجم غاياتها)). ثم انتقل قعوار إلى التذكير بأهم المنجزات التي حققها الاتحاد في فترة ولايته، وهي الفترة، التي اعتبرها قصيرة للغاية. والملاحظ أن فخري قعوار كان قد كرر جملة «فترة قصيرة» ثلاث مرات، وهو ما حدا بعشاق التأويل إلى اعتبارها دعوة صريحة من الأمين العام للاتحاد إلى إعادة انتخابه لفترة ثانية. أما كلمة السيد محمد الأشعري رئيس اتحاد كتاب المغرب، فقد سمحت لنفسها بفسحة زمنية أوسع، مؤسسة خطابها على مبدأ تجاوز القائم وخلخلته بغية رسم استراتيجية عمل ثقافي جديد: ((لقد نشأ اتحادنا مرتبطاً بمد واضح في اعتناق القضايا القومية والإيمان بوحدة العرب كياناً سياسياً وهوية ثقافية ومصالح اقتصادية. ولا شك أن مناخ التأسيس هذا قد طبع المنظمة حتى الآن وشكّل المادة الخام بخطابها السياسي ومبادرتها الثقافية [...] بيد أن التحولات العميقة التي عرفتها الأمة العربية تقتضي أن ننظر إلى المستقبل بعين ناقدة منتبهة لا تعيد إنتاج الخطابات المكرورة ولا تغطي قصورها بالقناعات الحاسمة)).

وكانت أن تحركت شهية العارفين بأسرار الألغاز ومكامن الرموز لربط كلام الأشعري بمرجعية سياق المناخ الانتخابي، إذ اعتبروه البداية الفعلية لخوض غمار الكولسة لإنجاح رغبة الكتاب المغاربة في ترشيح هيئتهم للأمانة العامة. ومن أجل إضاءة كلام الأشعري الوارد في تدخله، لا بد من البحث في التصاريح والحوارات التي سبق أن أنجزها بمناسبة انعقاد المؤتمر. ونكتفي، في هذا المقام، بإدراج مقاطع من حوار مطول أجرته مع محمد الأشعري جريدة **الاتحاد الاشتراكي** التابعة لحزب الاتحاد الاشتراكي المعارض. وقد جاء الحوار مصدراً بعنوان بارز: «تجربتنا المغربية تستحق إسناداً عربية» وهو ما يدل صراحة على الرغبة الملحة عند اتحاد كتاب المغرب للتنافس على مقعد الأمانة العامة. يقول الأشعري ضمن هذا الحوار ما يلي: ((إننا نعتبر بأن استضافة المؤتمرين من قبل اتحاد مستقل له تجربته الخاصة قد يكون فرصة أمام المؤتمرين لتأمل تجربة الاتحاد العام بعيداً عن الضغط الرسمي الذي يكون عادة عندما تستضيف بنفسها وبآلياتها هذا المؤتمر)). هذا، وقدْ شكلت استقلالية اتحاد كتاب المغرب، عن النظام القائم في البلاد وعن كل التوجيهات

(١) لم توزع كلمة السيد الوزير على الحضور واكتفينا بتسجيل بعض النقط الواردة فيها أثناء عرضها.

السياسية المتصارعة داخل الوطن، الورقة الرئيسية التي ما فتئ يلوح بها المثقفون المغاربة لتأكيد أحقيتهم في اعتلاء منصب الأمانة العامة.

وقد كانت كلمة الأشعري، إضافة إلى ما سبق عرضه، دفاعاً، بنبرة عالية، عن الكاتب العربي، منددة، بصوت قوي، بالإرهاب والعنف والحجز وكل أصناف تضييق الخناق على الكاتب في البلاد العربية: ((فما أظن أن السكين التي امتدت لعنق نجيب محفوظ كانت تقصد اغتيال إنسان فقط، بل اغتيال الإيمان بجدوى الإبداع في أمة تنخرها الأمية والفقر وتقف عشرات الحواجز والجدران أمام حرية تداول المنتوج الإبداعي)). واختتم الأشعري كلمته بتوجيه تحية تضامن إلى كل الكتاب الجزائريين، ودعا المؤتمر إلى الالتزام بـ((مبادرة فورية يقوم بها الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب بتوجيه وفد من ألمع المفكرين والمبدعين إلى الساحة الجزائرية بدعوة كل الأطراف المتصارعة إلى رفع أيديها عن أعناق الكتاب والصحفيين)).

ويجدر بنا، ونحن نروم إلقاء الضوء على أشغال المؤتمر التاسع عشر للاتحاد العام للكتاب والأدباء العرب، ومن أجل تقريب القارئ الكريم من الأجواء العامة والمشاهد التفصيلية التي رافقت انعقاد هذا المؤتمر، أن ننقل أجواء الخطاب الإعلامي، خصوصاً المكتوب منه، لنؤكد في البداية أنه ورغم الحضور المكثف للصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية لأشغال المؤتمر، فإن أصداءه كانت محدودة في الشارع المغربي، كما في الصحافة المكتوبة. وتبقى جريدة **الاتحاد الاشتراكي**، الصحيفة المغربية الوحيدة التي انفردت بالمواكبة الدقيقة لأشغال المؤتمر قبل وأثناء انعقاده، قبل أن تغض الطرف عنه بعد اختتام أشغاله.

كتب عبد الرزاق الداوي (في افتتاحية الملحق الثقافي لجريدة **الاتحاد الاشتراكي** ليوم الجمعة ٦ كانون الثاني ١٩٩٥) مقالة، تربّعَ فوقها عنوان بارز الحروف «عن مؤتمر ينعقد في زمن طوفان السياسة»، ركز فيها على مبدأ الديمقراطية كحل لا محيد للمثقفين عن الدفاع عنه من أجل نيله فهو يقول: ((حبذا لو ابتعدنا قليلاً عن المجاملات المألوفة وهدر الوقت في دغدغة العواطف والمشاعر، وانصب اهتمامنا إن لم نقل نضالنا أولاً وأساساً على قضية حيوية بالنسبة إلينا جميعاً: قضية الديمقراطية)). في كلام عبد الرزاق الداوي إشارة تستحق الملاحظة. ذلك أن اقتران المطلب الحيوي للمثقف العربي باكتساب الديمقراطية كقضية مركزية، هو اقتران يجد مسوغاته المادية في السلوكيات الثقافية والنقابية داخل هياكل الاتحاد التي لا يتأخر البعض في نعتها بصفات البيروقراطية والزبونية والعتاقة. لنتأمل ما جاء في شهادة القاص المغربي إدريس الخوري: ((تركيبة الاتحاد العام... تركيبة غير متجانسة تتحكم فيها الحسابات السياسية للأنظمة العربية وصراعها الدائم مع بعضها نحو الانفراد والزعامة الثقافية بدون أن يستطيع الاتحاد الانفلات من شرنقتها البيروقراطية. وهكذا لا نسمع عن الاتحاد إلا اجتماع أمانته العامة ومؤتمره العام الذي يعقد كل سنتين. حتى مجلته ومنشوراته لا نسمع عنها إلا أخباراً عابرة في الصحف... ولا يتحرك إلا في مجال ضيق وخجول بحكم هيمنة السياسي عليه. لذلك تبدو صورة الاتحاد في نظر المثقف العربي، خصوصاً في المغرب، هي صورة الأنظمة العربية المريضة بالحساسية)).

في كلام إدريس الخوري نبرة عارية من الرموز وكثافة الاستعارات، صريحة في أبعادها الدلالية. وأن ينشر مثل هذا الكلام في اليوم الثاني من المؤتمر معناه أن هناك رغبة لدى الكتاب المغاربة في توجيه الانتقاد للسير العام للاتحاد، وميلاً إلى التغيير في مستوى هياكل الاتحاد. وهذا ما سيعلن عنه رئيس اتحاد كتاب المغرب صراحة حين يؤكد على أن الكتاب العرب في حاجة إلى ((إعادة النظر في هياكل الاتحاد، إلى إعادة نظر في وسائل عمله، في مصدر تمويله، في علاقاته بالأنظمة وفي كل الأشياء التي لها طابع تنظيمي ولها طابع فكري)).

ويمكن إجمالاً القول بأن الملف الذي أعدته جريدة **الاتحاد الاشتراكي** بمناسبة انعقاد المؤتمر التاسع عشر للاتحاد العام للأدباء العرب يكشف عن الرغبة الأكيدة لدى الكتاب المغاربة في اتحاد كتاب المغرب، الذي يشتغل العديد من أعضائه في هيئة تحرير الجريدة، في إثارة أنظار الوفود العربية المشاركة في المؤتمر إلى المطلب المغربي. ... ولا سيما أن مواد هذا العدد من الملحق الثقافي للجريدة، المكوّنة من حوارات وشهادات، اقتصرت على إدراج مواقف المعارضين جهراً أو خفية لسير نظام الاتحاد العام وهياكله، ولم نعثر، ضمن هذا العدد، على آراء أصحاب التكتّل الذي شكل حزام أمن سميكاً للاحتفاظ بكرسي الأمانة العامة وتثبيت أركانه في فضاء عمان. غير أن ما لا يمكن تجاهله أنه، ورغم جو الانتخابات وتوتر الأجواء، في بعض المناسبات، لم ينس المنظمون للمؤتمر وعموم المثقفين المغاربة وعموم الجمهور واجب الضيافة. فقد كانت كل الوفود تعبر عن آرائها بحرية تامة سواء داخل قاعة المؤتمر أو أثناء انعقاد ندوة الخطاب الإبداعي العربي أو المهرجان الشعري أو ضمن الجلسات الهامشية في صالون الفندق بين الأدباء والصحفيين والجمهور. وما يمكن تسجيله بصدد انعقاد المؤتمر، أن بعض الوفود العربية كانت تعتبره فرصة لتصفية الحسابات القديمة مع بعض الاتحادات العربية الأخرى. وهذه الظاهرة برزت بشكل مثيل، أثناء المؤتمر، وهو ما يؤشر على إحدى أزمات مشروعنا الثقافي والفكري في المجتمع العربي. فمثلاً الوفد التونسي لا يخفي نيته في

الانتقام من إتحاد كتاب المغرب قائلاً: لن أصوت لصالح اتحاد كتاب المغرب لأنه لم يصوت لفائدة الوفد التونسي في مؤتمر عمان. أما رئيس الوفد الفلسطيني الأستاذ واصف منصور فقد غير موقفه وموقف الكتاب الفلسطينيين في مساندة ترشيح المغرب نفسه للأمانة العامة؛ وهو ما أثار دهشة الكتاب المغاربة ودفع البعض منهم إلى دعوة اتحاد كتاب المغرب إلى البحث عن صيغة أخرى لاستراتيجية العمل الثقافي مع الأقطار العربية[٢].

في نهاية هذه الورقة الاستطلاعية، التي خصصناها لأشغال المؤتمر التاسع عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، وللأجواء العامة التي رافقت أشغال المؤتمر، نؤكد على أن العملية الانتخابية وحلم الزعامة الثقافية يظلان الهاجس الأكبر الذي يشغل تفكير كل المشاركين في المؤتمر، خاضعين، في ذلك، لرغبات السياسة ولأسئلتها، ومستجيبين للتوجيهات السياسية الصارمة التي تكاد تخنق أنفاس المؤتمر. في حين تظل أسئلة المشروع الثقافي القومي ومناقشة راهن الوضع الثقافي العربي على هامش الاهتمام والتفكير. وما دام «المعلم الشاطر» يمتد بجسمه الضخم على امتداد رقعة هذا الوطن المسلوب الإرادة، فإن أي حديث عن نجاح المؤتمر التاسع عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، يبقى من باب المجاملات والادعاءات المشكوك بصحتها.

ندوة «الخطاب الإبداعي العربي بين الثوابت والمتغيرات»

أقيمت على هامش المؤتمر السابع عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الذي احتضنته مدينة الدار البيضاء خلال الفترة ما بين ٥ و٨ كانون الثاني ١٩٩٥، ندوة الخطاب الإبداعي العربي بين الثوابت والمتغيرات. والندوة، كما أراد لها المنظمون، تعد بمثابة المرصد الذي نطل من خلاله على واقع إبداعنا العربي، متأملين راهنه وماضيه ومستقبله انطلاقاً من أسئلة الذات والهوية والانتماء. كما تُعْتَبر الندوة لحظة تسمح باستجلاء الصورة الحقيقية لواقع إبداعنا العربي. فهل نجحت الندوة، بتعدد أبحاثها وتشعب مقارباتها وتنوع طروحاتها، في أن تلامس عمق مسألة الخطاب الإبداعي؟ حَرِصْنا على تتبع معظم العروض والأبحاث التي قدمت في جلسات هذه الندوة وعلى امتداد محاورها، كما استأنسنا بالعديد من الآراء المجادلة حيناً والمستفسرة أحياناً أخرى، بل ذهبنا إلى حد الإصغاء الدقيق لتلك الآراء الموغلة في استصدار الأحكام المتسرعة، كل ذلك من أجل تشكيل صورة شاملة عن الندوة تسمح لنا بصياغة بعض الملاحظات والأحكام:

أ ـ غلب على الأبحاث والعروض المقدمة في هذه الندوة طابع الإنشائية والخطابة، أمام غياب الذقة العلمية في تناول قضايا الإبداع العربي. ويبدوأن العروض قد أنجزت على وجه السرعة، وهو ما جعلها تفتقد إلى العمق العلمي والإدراك المنهجي القادرين، وحدهما، على استكناه الظواهر واستخلاص ملامحها الجوهرية.

ب ـ إن غياب الأرضيات العملية والأوراق التوجيهية في أغلب محاور الندوة سمح بإقحام بحوث بعيدة كل البعد عن الطرح العام للندوة.

ج ـ غياب المشاركين في المؤتمر عن جلسات الندوة أثّر إلى حد بعيد في السير العادي لهذه الجلسات، التي افتقرت إلى المناقشة العلمية والجدل البناء. وهو الشيء الذي سمح بورود مداخلات انطباعية من جهة وهجومية عنيفة من جهة ثانية.

د ـ الارتباك التنظيمي الذي رافق سير الجلسات سببٌ آخر في الاضرار بمحاور الجلسات.. وكذا العروض والأبحاث المقدمة التي التجأ أصحابها، أمام الضغط الزمني، إلى اختزالها في جمل إنشائية.

هـ ـ كثافة العروض وتنوع خلفياتها المنهجية وتنوع موضوعاتها ومقارباته، كان لكل ذلك تأثير على القدرة الإدراكية للحضور الذي كان يتكون في غالبيته من شريحة الطلبة.

المحور الأول: الكتابة والتلقي والحداثة

انطلقت الجلسة الأولى لهذا المحور يوم ١٩٩٥/١/٥. وشارك فيها كل من الأستاذ أحمد اليابوري (المغرب)، الأستاذ محمد القاضي (تونس)، الأستاذ طراد الكبيسي (العراق) والأستاذ نجيب العوفي (المغرب) في حين تغيب الأستاذ محمد البنكي (البحرين). وأدار هذه الجلسة الأستاذ محمد برادة. وما يمكن تسجيله في البدء أن هذه الجلسة قد كانت الوحيدة التي احترمت عناصر محاور العمل، كما أنها، وعلى خلاف أغلب العروض المشاركة في الندوة، اتسمت بالعمق في المقاربة والدقة في التحليل، وبخاصة عرض الأستاذ أحمد اليابوري الذي كان قريباً من روح العلميّة في تناول قضايا الخطاب الإبداعي. فقد طرح العديد من الملاحظات المبدئية المتعلقة بمقولة الحداثة متسائلاً عن قدرتها في الإعلان على الانخراط المباشر والعضوي في أسئلة العصر واختراق المقدس وخلخلة البنية التقليدية قصد رسم أفق جديد لمفهوم الكتابة. هذه الأسئلة العامة وجدت، عند الأستاذ أحمد اليابوري، تحديداتها في القسم التطبيقي من البحث حيث ركز على ظاهرة أساسية في المشهد الحداثي في الكتابة الروائية التي تعرف بتقنيات المرآة mise en abime والمتمثلة في إدراج محكيات صغرى داخل إطار

(٢) إشارة إلى ما صرّح به الشاعر صلاح بوسريف لجريدة **أنوال**.

المحكيات الكبرى، لتساهم في الاشتغال الجمالي والدلالي للنص الروائي. فهذه المحكيات الصغرى لم يعد ينظر إليها باعتبارها حشواً أو استراحة للقارئ من محنة القراءة الخطية، وإنما تشكل، إلى جانب المحكيات الكبرى، بنية متماسكة تساهم في صياغة معمارية النص الروائي. ولإبراز قيمة هذه المحكيات الصغرى داخل الاشتغال النص الروائي يعمد الباحث إلى تحليلها انطلاقاً من نموذجين روائيين وهما: رواية **نجمة أغسطس** لصنع الله إبراهيم ورواية **الفريق** لعبدالله العروي. وخلص العارض، بعد الانتهاء من تطبيقاته الدقيقة على مكون المحكيات داخل الروايتين، إلى أن المحكيات الصغرى تعد بمثابة سمة من سمات الإيغال في الحداثة، فهي تخضع لمبدأ التوالد في الروايات الجيدة، كما تلعب دوراً وظيفياً داخل الكون التخييليّ للرواية.

وانتهى أحمد اليابوري إلى تحليل مفهوم الانشطار الاستعاري في **نجمة أغسطس**، لتحديد مستوياته ومظاهر دلالاته، فأشار إلى المحكي الفرعوني المتصل برمسيس الثاني كاستعارة للمحكي الواقعي المتصل بجمال عبد الناصر ثم المحكي المتعلق بالمسيح الشهيد كاستعارة لنوعية شهيد آخر هو شهدي عطية.

مداخلة طراد الكبيسي (العراق)

«تحولات النص الشعري من النثر إلى النثر»، هو عرض الأستاذ طراد الكبيسي الذي حاول من خلاله استقصاء مسار النص الشعري منذ أقدم نص شعري وصل إلينا من الحضارات القديمة، وصولاً إلى نماذج من نصوص نثرية/ شعرية معاصرة من حضارات وثقافات مختلفة. ولم يلتزم الأستاذ طراد الكبيسي، في تقديمه لهذه النصوص، بتركيب منضبط وإنما جاء بها في ترتيب عشوائي(...) واضح أن العارض يراهن، بقوة، على المتلقي وبداهته في إمكانية إعادته ترتيب النصوص وفق شروط سيرورتها الثقافية والزمنية. وتبقى النماذج الشعرية التي اختارها الأستاذ الكبيسي، غير خاضعة لأوزان مقيدة بل تنتظم بإيقاع النثر أو النبر وسواه من خاصيات الشعرية. وألمع الباحث إلى ما اكتنف النص العربي من تحولات، إن على مستوى اللغة أو البناء أو الشكل أو الأداء، غير أن خاصية التطور هذه لم تحل دون وصول الباحث إلى خاصية أساسية في النص الشعري العربي، إذ لاحظ أن معظم الشعر الحديث نثر كما كان معظم النثر القديم شعراً. ورصد في نهاية بحثه أهم الخصائص التي تشترك فيها النصوص المقدمة: ١ ـ السرد ٢ ـ العاطفة ٣ ـ المفارقة الساخرة ٤ ـ الوضوح ٥ ـ الكثافة ٦ ـ الحرية ٧ ـ لغة مجازية صورية ٨ ـ إيقاع الملفوظ الهادئ ... إلخ.

مداخلة محمد القاضي (تونس)

اتَّسمَ بحث الأستاذ محمد القاضي (تونس) بالاختبار المفاهيمي وتطبيقه على النصوص. فقد عنون مداخلته بـ«الإبداع الروائي والحداثة ـ الرواية وألعاب القص من خلال **دنيا** لمحمود طرشونة». فحاول استنطاق بعض مكونات ومعالم هذا النص الجمالية على أساس ربطها بالسياقات الدلالية التي تؤسس معها علاقة وطيدة. يقول محمد القاضي: ((وكان همي إذن أن أتخذ الحكاية المروية مطية لفهم آليات الكتابة الروائية عند محمود طرشونة)). وتنبغي الإشارة إلى أن الحضور لم يستطع مسايرة تحليلات محمد القاضي لرواية **دنيا** لأن أحَداً منهم لم يطّلعْ على هذه الرواية، وهو ما يحتم علينا، مرة أخرى، التلميح إلى مسألة تداول الكتاب العربي في البلاد العربية، وهو من المهام المركزية الملقاة على كاهل الأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء العرب. وللوقوف على روائية **دنيا** لمحمود طرشونة عمد الباحث إلى الكشف عن تمفصلاتها من خلال ألعاب ثلاثة وظفتها الرواية: لعبة اللغة ـ لعبة الأزمنة ـ لعبة الرؤيا. وتبقى رواية **دنيا**، في رأي الأستاذ محمد القاضي، «عملاً على اللغة».

مداخلة نجيب العوفي (المغرب)

مداخلة الناقد نجيب العوفي[٣] ((منطوق الحداثة ومسكوتها: نظرية الحداثة وخطابها الشعري)) أثارت العديد من ردود الفعل من المهتمين والمشتغلين بقضايا الإبداع الحداثي العربي. فقد كان عرض الأستاذ نجيب العوفي لحظة إعادة التأمل في مقولة الحداثة، ونقداً صريحاً لبعض الاتجاهات في مقولة الحداثة الشعرية التي يراها مجرد لعب لفظي يطغى على تجاربها طابع الحداثة الشكلية التي تهدف إلى المتعة بمعزل عن جاذبية المجتمع والأديولوجية. والحداثة بهذا الشكل، يضيف الباحث، تنقض ميثاقها لترسم للشعر أفقاً مأزقياً. فبحجة الحداثة أطلق العنان للذات لكي تصنع ما تشاءُهُ بل وصلت الحداثة إلى حد الترخيص لأصحابها بأن يوقعوا ميثاق صلح ثقافي مع العدو الصهيوني. وتأسيساً عليه/ يدعو الأستاذ العوفي إلى وقفة نقدية لمقولة الحداثة تستدعي معها صحوة واقعية لتأصيل هذه الحداثة دون تنكر لمكتسباتها. «إننا بحاجة إلى الانتقال من صدمة الحداثة إلى صدمة الواقع والواقعية»، حسب تعبير نجيب العوفي ذاته.

وللإشارة فإن هذه الجلسة، رغم قيمة عروضها ودقة أبحاثها، رفعت دون أن تعطي الفرصة للحضور من أجل إبداء الرأي فيها، عبر مناقشتها واستفسار أصحابها. فنداء الشعر كان أقوى، كما عبر عن ذلك الأستاذ محمد برادة وهو يختتم أشغال الجلسة الأولى من الندوة.

(٣) لم توزع مداخلة نجيب العوفي على الصحافة والمشاركين.

● الجلسة الثانية لأشغال ندوة الخطاب الإبداعي العربي بين الثوابت والمتغيرات انعقدت صبيحة يوم الجمعة ٦ كانون الثاني ١٩٩٥. وشهدت هذه الجلسة غياب مجموعة من المساهمين الذين أعلن عن أسمائهم في برنامج الندوة. إذ لوحظ غياب مفتاح العماري (ليبيا) ولدتاتا (موريطانيا) كما تغيب أحمد المديني (المغرب) رغم حضوره أشغال المؤتمر منذ بدايته. واكتفت الجلسة بعرضين قدمهما كل من سميرة الخوري (الأردن) وحميد الحميداني (المغرب) وأدار أشغالها الناقد التونسي محمد لطفي اليوسفي. مداخلة سميرة الخوري كانت بعنوان «النص الإبداعي/ الاستقبال/ وعلاقته بالجمهور». وتناولت فيها مفهوم الكتابة ودورها في توعية المتلقي و((وضعه في دائرة المعرفة فيما يدور حوله ولما يعتمل في نفسه)) وهذا المفهوم، المحدد للكتابة، هو الذي يعطي تنويعاً في التجارب بين كاتب وآخر، حسب رأي سميرة الخوري. وقد طرحت الباحثة سؤالاً يُعتبر عمود بحثها المركزي: متى يكون الكاتب مبدعاً؟ والملاحظ أن مفهوم الإبداع، عند الباحثة، يأخذ بعداً واحداً إذ يقوم على بنية التواصل التي يمكن أن يؤسس من خلالها الكاتب عالمه الإبداعي. ولأجل هذه الغاية تقترح الكاتبة أربعة أبعاد في صياغة الكون الإبداعي: المكان/ الزمان/ الإنسان/ اللغة. هذه الأبعاد تمثل الركائز الأساسية في العملية الإبداعية. وتخلص الباحثة إلى طرح سؤال آخر يفتح أمامها إمكانية فهم متميز للإبداع: ((هل يكفي أن تكون وسيلة الاتصال بالكلمة المقروءة في مجتمع أصبحت فيه وسائل الاتصال متطورة...؟)) واضح من خلال هذا المنحى، الذي تتخذه سميرة الخوري كمنطلق لتأسيس وعيها بالعملية الإبداعية، أنه محكوم بالموقع العملي الذي تشغله كممثلة ومذيعة في التلفزيون الأردني. ذلك أن السؤال الجوهري في العملية الإبداعية العربية يبقى، في نظرنا، وعلى خلاف ما ذهبت إليه، هو: هل الكلمة المقروءة تجد انتشارها وسط جموع الناس في المجتمعات العربية؟. وما ذهبت إليه سميرة الخوري من أنّ كون الكلمة الإبداعية «بدأت تأخذ شكلاً آخر من أشكال التعبير الأكثر التصاقاً بالجمهور والأكثر تأثيراً وفعالية وانتشاراً... إذن الكلمة بدأت تأخذ معنى الدراما» يطرح أمامها إشكالية هيمنة الثقافة الاستهلاكية التي تراهن على تدجين المتلقي وتتخذ من الأعلام وسيلتها لذلك. ويبقى الكتاب والكلمة المقروءة في ظل هذه الشروط أقوى وسيلة لإعادة الاعتبار للمتلقي.

عرض الأستاذ حميد الحميداني[٤] كان عبارة عن جملة تساؤلات حول واقع النص الإبداعي الحديث وعلاقته بالمتلقي في حدوده وآفاقه، مؤسساً حديثه على فكرة أنّ الرواية تبقى العلامة المتميزة في واقع النص العربي الحديث. وكأن الرواية، بالنسبة للحميداني هي النوع الأدبي الأكثر تعبيراً عن الحداثة وقضاياها. غير أن الباحث استدرك بعد ذلك معتبراً أنه، وإلى جانب اهتمامنا المتزايد بالرواية، لا يمكننا التغاضي عن ما تعرفه الأنواع الإبداعية الأخرى من تطور مثل ما يحصل على صعيد مستوى النص الشعري والنص المسرحي.

المحور الثاني: الإبداع العربي وقضايا التفاعل النصي والثقافي

الجلسة المسائية من هذا المحور شارك فيها كل من محمد مصلح السريحي (السعودية)، والناقد والروائي محمد برادة (المغرب)، والروائي والقاص إبراهيم عبد المجيد (مصر) والناقد بن عيسى بوحمالة (المغرب) وأدار هذه الجلسة الناقد المصري صبري حافظ.

مداخلة الناقد السعودي محمد مصلح السريحي قامت في كلياتها على تحليل نص «بروق العامرية» للشاعر الدميني، مؤكداً أن هذا النص تتخلله تجربتان شعريتان جرى النظر إليهما على أنهما منفصلتان وهما: التجربة الجاهليةّ والتجربة الصوفية، وتوصل الباحث إلى ذلك من خلال رصده لتفاعل التجربتين داخل هذا النص الذي ينطلق من قصيدة المنخل اليشكري ومن قصيدة ابن الفارض. وخلص الباحث إلى أن قصيدة «بروق العامرية» مثلها مثل قصيدة «بروق الغيم» وأن لغة الأولى تنمو من داخل لغة ثانية. وتداخل النصين يأخذ بعداً وظيفياً في القصيدة، تعبر عنه مستويات هذا التداخل الذي أشار إليه الباحث في معرض تحليله لمكون التناص في قصيدة «بروق العامرية» للشاعر الدميني. ويلاحظ الباحث أن القصيدة لم ترتكز على التناص فحسب، وإنما تعدته إلى استغلال مكون التنصيص حين تضمنت شطري بيت المنخل الشكري. وهذه العملية، في رأي السريحي، أفضت إلى إخراج النص الأول من سياقه التاريخي القديم وولجت به سياقاً مغايراً.

أما الروائي المصري إبراهيم عبد المجيد، فقد اكتفى في مداخلته بسرد تجربته الإبداعية في تعالقها مع مقولة الحرية، حيث أشار إلى أن المرادف المقابل لكلمة الحرية والكامن فيها هو كلمة القمع. الحرية في مفهوم إبراهيم عبد المجيد ليست شرطاً للإبداع، واستند في ذلك إلى نموذج دول أمريكا الجنوبية التي تعيش تحت نير القمع والديكتاتورية، ومع ذلك استطاعت أن تنتج للعالم روايات في قمة الإبداع العالمي. وتأسيساً عليه، تبقى الحرية، عند إبراهيم عبد المجيد، مرتبطة بالإبداع، ما دام الإبداع هو الحرية ذاتها، لأن الكاتب حين يكتب فإنه يشعر بممارسة حرية مفتقدة وحق مستلب في الحياة العامة. ولنا أن نتساءل، بعد استعراض أهم عناصر مداخلة

(٤) لم توزع مداخلة حميد الحميداني على الصحافة.

إبراهيم عبد المجيد الارتجالية، عن العلاقة بين هذه المداخلة ومحور الجلسة الذي هو: «الإبداع العربي وفضاء التفاعل النصي والثقافي»؟.

في بحث الناقد بن عيسى بوحمالة[٥] (المغرب) «الشعراء يبحثون عن إقامة جوهرية: النص ـ التجريب ـ العالم» رصد للأطروحة الهيدغيرية القائمة على البحث عن إقامة رمزية للتجربة الشعرية في سياقها الثقافي والميتافيزقي. وتساءل الباحث: كيف يستطيع الشعراء أن يصلوا إلى بوابة رمزية تسمى الإقامة؟ ولمقاربة هذه المحاولة عمد الباحث إلى دراسة البحث عن الإقامة من خلال ثلاثة نصوص هي «العودة لجيكور» للسياب و«العودة إلى منار» لمحمد عبد الحي (السودان) و«ورقة البهاء» لمحمد بنيس (المغرب). ويرى الأستاذ عيسى بو حمالة أنه إذا كانت هذه النصوص تمتد زمنياً من ١٩٦٠ إلى ١٩٨٥ فإن السؤال المركزي الذي يفرض نفسه في هذا السياق، يتخذ الصيغة التالية: هل كانت كل هذه المدة كافية ليطور النص الشعري نفسه وليشيد، بالتالي، إقامته ضمن اللغة؟ هل استطاع كل هؤلاء الشعراء بلورة تسمية خاصة للمكان خروجاً من انغلاقه إلى انفتاحه؟. يشير الباحث إلى أن بلورة تسمية شعرية للمكان اقترن، في السياق الثقافي والميتافيزقي الغربي، بحضور المرأة وغيابها. ولذلك فإن الظاهرة المشتركة بين هؤلاء الشعراء تكمن في تغييبهم عنصر المرأة، ولهذا التغييب، في رأي الباحث، اعتبارات دلالية تبحث، من دون شك، عن آفاق شعرية جديدة تغني هذه التجارب الثلاث وتخصبها.

مداخلة الأستاذ محمد برادة[٦] (المغرب)

يمكن اختزال محاور عرض الأستاذ محمد برادة في فكرة واحدة منطلقها التساؤل التالي: لماذا نتكلم عن الأدب العربي الجديد؟ هذا السؤال يستمد مشروعية في سياق حديث محمد برادة، من تلك التحولات التي مست بنيات المؤسسات التعليمية الجامعية، التي شرعت في صياغة سؤالها العملي: كيف نقرأ النص؟ وهو سؤال تعود أصوله، في نظر محمد برادة، إلى عملية التصادي مع المناهج العلمية الحديثة التي غيبت سؤال لماذا؟، إلا أن هذا التغيب، كما يلاحظ محمد برادة، ليس تغيباً مطلقاً ما دام سؤال «لماذا» متضمناً في سؤال «كيف». ومن شأن عودة طرح سؤال لماذا، أن يفتح أمام الناقد فسحة أوسع وهو يقرأ النص ضمن شروط الثقافة وأسئلتها. وانتقل العارض، بعد ذلك، إلى التفصيل في الحديث عن علاقة الفكر باللغة، منطلقاً من السؤال التالي: هل محاولة التخلص من لحظات التأزم تتحمل مسؤوليته اللغة وحدها؟ وهو السؤال الذي سيفضي بالباحث إلى التطرق إلى وظيفة الأدب العربي الجديد راهناً، والقائمة على ثنائية: سلطة الأدب ولاسلطة الأدب. فالأدب، عند محمد برادة لم يعد ذلك الفعل الذي يحول الأشياء ويطرح الحلول، وهو بذلك، لم يعد يملك أية سلطة. أما إذا نظرنا إلى الأدب من خلال مفعوله داخل النفس والمخيلة، فإنه يملك السلطة، غير أنها سلطة مهددة بسلطة الثقافة الجماهيرية التي تسعى إلى تدجين المتلقي.

* * *

المحور الثالث: فضاءات المتخيل الأدبي

الجلسة الخامسة

شارك في هذه الجلسة كل من أحمد المصلح (الأردن) سعيد يقطين (المغرب) محمد ساري (الجزائر) محمد لطفي اليوسفي (تونس) حسن نجمي (المغرب)، وأدار الجلسة طراد الكبيسي. ويمكن الجزم في أن أهم مساهمة في هذه الجلسة هي تلك التي قدمها الناقد محمد لطفي اليوسفي.

شارك الأستاذ سعيد يقطين ببحث: النص ـ الحداثة ـ الأيديولوجيا. انطلق فيه من مبدأ الهيمنة؛ فإذا كان مفهوم الأيديولوجيا قد هيمن إلى نهاية السبعينات، فإن مفهوم الحداثة قد هيمن منذ السبعينات إلى الآن. وبالتركيز على المفهومين، يشير سعيد يقطين إلى بزوغ تصنيفات من نوع: تقدمي/ رجعي فيما يتعلق بالأيديولوجيا أو سجالية قديم/ حديث حين يتعلق الأمر بمقولة الحداثة. ويلاحظ الباحث أن كلاً من المقولتين تجدان مسوغات حضورهما في التفاعل الثقافي مع الغرب... هذا التفاعل، الذي يعتبره سعيد يقطين، تفاعلاً مشلولاً ما دام يتأسس على قاعدة رؤية سياسية إلى المجتمع على قاعدة حضارية. ومن ثم، فإن مفهومي الحداثة والأيديولوجيا، من منظور الباحث، لم يقدما رؤية علمية عن الواقع أو العالم بقدر ما أنتجا تصوراً أو تخيلاً أو توهماً.

في مستوى ثانٍ، عمد سعيد يقطين إلى استخلاص أهم ملامح الحداثة في النص الروائي العربي راصداً جملة تجلياته من خلال العناصر التالية:

١) تحول الرواية العربية بعد حرب ٦٧ من خلال بحثنا الدؤوب عن أشكال جديدة لتقديم التجربة النصية للرواية اعتماداً على خلق بنيات جديدة اختزلها العارض في العناصر التالية:

أ ـ تكسير عمودية السرد

ب ـ تكسير خطة الزمن

ج ـ تنوع الرواة واللغات وتداخل الخطابات/ الأجناس.

---

(٥) لم توزع مداخلة بن عيسى بو حمالة.

(٦) لم توزع مداخلة محمد برادة.

وما يمكن تسجيله، بصدد عرض الأستاذ سعيد يقطين، أنه اعتمد على إبراز عناصر متداولة في الخطاب النقدي الروائي. ولغياب التحليل المجهري للنصوص الروائية واختيار تجاريبها الكتابية، نجدنا أمام أحكام تعميمية تفتقر للموضوعية في عموميتها. وواضح أن سعيد يقطين في عرضه كان يسجل مجموعة ملاحظات رافقت قراءته للنص الروائي العربي.

مداخلة أحمد المصلح (الأردن)

بحث الأستاذ أحمد المصلح (الأردن) كان بعنوان «جغرافيا الإبداع وأثرها في المتخيل الأدبي: **تغريبة بني فلسطين** نموذجاً». ركز فيه على اختيار دلالة الرمز في التجربة الشعرية للشاعر وليد سيف. وينطلق أحمد المصلح في اختياره لدلالة الرمز من سؤال حول التغريبة: هل هي إحالة إلى المورث الثقافي العربي المتمثل في السير والملاحم، كسيرة عنترة والظاهر بيبرس وسيف بن ذي يزن والزبير سالم والهلالية؟ محاولاً، بعد ذلك، الربط بين تغريبة زيد الياسين في الأرض العربية بتغريبة بني هلال التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى مصر وتونس. والتعالق بين التغريبتين لا يتم في حالة العنوان فحسب، وإنما يتعداه إلى هيكل القصيدة ذاته من حيث الطول أو من حيث الشخصية المحورية أو من «حيث امتداد الحدث الشعري فيها الذي يشكل المغرب، مصر، الأردن، فلسطين، السعودية بشكل أساسي وأراضي عربية أخرى». وهو ما دفع أحمد المصلح إلى اعتبار قصيدة تغريبة بني فلسطين قصيدة ذات نفس ملحمي تقوم فيه التجربة الشعرية على المستويات التالية:

الوجود المتغيّب	حياة/ مطر
الوجود اللامتعين	موت/ دم
المركب الوجودي	انبعاث/ وطن

هذه المستويات، في نظر أحمد المصلح، هي المحدد لأبعاد التجربة الشعرية. ولا يكتفي الباحث برصد خيوط العلاقة ما بين النصين الإبداعيين وإنما يعمد إلى تشكيل الصورة اللاواعية المجسدة في ذهن الشاعر وليد سيف كنص شعري منجز ليؤكد، في النهاية، على أن النص التراثي مرسوم سلفاً في خيال الشاعر.

مداخلة محمد ساري (الجزائر)

مداخلة محمد ساري (الجزائر) تمحورت حول فكرة: «الكاتب العربي وعلاقته بجمهور القراء»، وحاول من خلالها إقامة مقارنة بين فعل الانتاج الإبداعي في كل من الشرق والغرب وأمريكا الجنوبية ليخلص إلى فكرة بديهية تتجلى في تقلص القراء والقراءة في الوطن العربي محدداً أسبابها فيما يلي:

١ ـ دور النشر التي لا تمنح الكاتب حقه.

٢ ـ لا يتفرغ الكاتب العربي للكتابة وحدها كما هو الشأن في الغرب.

٣ ـ غياب المجتمع الديمقراطي وتقديس حرية التعبير.

٤ ـ التبعية المالية للكاتب اتجاه وظيفته الحكومية.

٥ ـ انتشار الأمية.

٦ ـ المشاكل الاجتماعية والمالية للمواطن العربي.

٧ ـ الشرخ القائم بين لغة الكتابة ولغة الحديث.

٨ ـ تهميش المثقف العربي. ويمثّل بوضعية المثقف الجزائري بعد الاستقلال.

لتأتي العناصر المتبقية من بحثه تفصيلات لهذه الأسباب وتعميقاً لها.

مداخلة محمد لطفي اليوسفي (تونس)

«**فتنة المتخيل وسلطات القدامة**» موضوع كان يهدف من ورائه الناقد التونسي محمد لطفي اليوسفي إثارة الفتنة داخل البنية الذهنية التقليدية التي تتخذ من الخطاب الديني سلاحاً لمحاربة كل محاولة اختراق المحظور وتفجير المسكوت عنه. نحتاج إلى هذه الإشارة، لما أثارته مداخلة محمد لطفي اليوسفي من ردود فعل اتسمت بالعدوانية والتهجم واستصدار الأحكام القبلية... كأن يقوم أستاذ جليل فيقذف محمد لطفي بالصهيونية بعدما فطن الأستاذ الجليل إلى ابتذالية مقولة التكفير فاستعاض بالصهيونية بدلاً عنها. ولأهمية العرض الذي قدمه محمد لطفي اليوسفي سنسعى إلى إثارة معظم المحاور التي تطرق إليها بتفصيل أكثر اتساعاً.

بدأ لطفي اليوسفي عرضه بالإشارة إلى أن الثقافة العربية راهناً تتسم بنوع من الفوضى باختلاف المواقف من التراث واللغة والكلمة والعالم. كما أشار إلى أن جزءاً من متخيلنا يتم السكوت عنه لأنه غير قابل للترويض والاحتواء. والخطاب النقدي المعاصر، في نظر لطفي اليوسفي خطاب محنة لأنه «خطاب يحركه وعي شقي، وعي معذب، مضنٍ يجعله عاجزاً عن الإحاطة بما يعتمل في صميم الثقافة العربية من صراعات وتحولات». وتزداد محنته كلما اقترب، في علاقته بالتراث العربي القديم تارة وبالنص الإبداعي تارة أخرى. فالشعارات التي يحملها النقد العربي مثل: هدم القديم/ تجاوز القديم/ القطع مع القديم... لا يراها الباحث إلاّ ضرباً من الوقوع في شراكة القديم وتكريسه وهي أزمة خطاب الحداثة العربية التي تعود أسبابها في رأي الباحث إلى:

١ ـ عدم القدرة على إدراك المسافة الفاصلة بين النص الإبداعي القديم والقراءة المرافقة له.

٢ ـ لم يتم تحديد المسافة بين التراث الرسمي ونداء الهوامش المقموعة.

٣ ـ عدم القدرة على الإمعان في المسافة بين النص الحديث والنص الذي علق بذاتنا وذاكرتنا.

تأسيساً على هذه العناصر، يدعو لطفي اليوسفي إلى خلخلة قراءة العرب القدامى للنص التراثي وإعادة قراءة النص الإبداعي باعتباره الموضوع «الذي تنكشف فيه الذات بكل أبعادها: نزواتها وأهوائها، بنزقها وميلها الجارف للوقوف ضد الممنوعات والمحرمات». وهو ما يسمح للباحث بإقامة مقارنة بين الحب والشعر لأن كلاً منهما يضع الكائن «قدام حقيقته المفجعة: أي هشاشته»؛ فالحب والشعر، عنده، صنوان لأن كلاً منهما «ضرب من الخروج، خروج من الأليف إلى المتوحش، من النظام إلى الفوضى». ولأن الشعر كذلك، ولأن الحب مثله، فإن قراءة العرب القدامى للنصوص، حسب ما ذهب إليه لطفي اليوسفي، جاءت مسكونة بهواجس الوظيفة الأيديولوجية: تحتوي نصوصاً وتقصي أخرى لأنها فشلت في ترويضها وتدجينها.

المحور الرابع: ثوابت الإبداع العربي ومتغيراته

الجلسة السادسة:

وكانت بمساهمة الأستاذ أنطوان مقدسي (سوريا) وفاروق عبد القادر (مصر) وعبد الفتاح كيليطو (المغرب) وسليمان الأزرعي (الأردن)، وأدارها الناقد السوري عبدالله أبو صيف.

ما كان يشغل فكر الناقد السوري أنطوان مقدسي في بحثه «عندما يصير المكان فسحة» هو مستوى النصوص المنقولة من الفكر الأجنبي إلى العربية. فهذه النصوص في نظر المقدسي غير دقيقة. وهي كذلك، لأن المترجم يجهل روح النص الذي ينقل عنه. ويقدم كمثال على ذلك نصوص اللسانيات الحديثة المترجمة. والمثير في عرض الأستاذ أنطوان مقدسي أنه كان جريئاً في تصويره لمشهد الترجمة في الوطن العربي كاشفاً بذلك عن أعمق الإشكاليات التي تواجهنا في عملية تكويننا الثقافي.

يقف الأستاذ أنطوان مقدسي عند كلمة «مصطلح» ليؤكد بأنها مرتبطة بالمجردات التي ليست لها علاقة بالشيء الذي تدل عليه، بخلاف المصطلح في العلوم الإنسانية حيث العلاقة قائمة وعميقة. ويُمثل لذلك بمصطلح «جدل» المقترن في الثقافة العربية بمقولة الديالكتيك الأفلاطونية الهيغيلية الماركسية، حيث انتفاء أوجه التماثل بين المقولة المترجَمَة والمقولة المترجمة، مبرزاً أن لكل لغة من اللغات الحية الكبرى طريقة في أداء معاني الوجود الكبرى.

وللتغلب على هذه المشاكل، يدعو أنطوان مقدسي إلى اعتبار المصطلح وتناوله من داخل سياقه النصي. ويقدم مثالاً لذلك مقولة «الفسحة»، مشيراً إلى أن الدراسات الأدبية لم تتبنّ مفهوم الفسحة إلا بعين الحرب العالمية الثانية. ويتناول بعد ذلك، مقولة الفسحة بالدراسة، انطلاقاً من كتاب هنري لوفيڤر Henri Lefebvre **إنتاج الفسحة** Production de l'espace سنة ١٩٧٤. وبعد استعراضه لديناميكية الفسحة الحديثة انطلاقاً من الأفكار الواردة في كتاب لوفيڤر يخلص، إلى الدعوة إلى مشروع آخر لمجتمع إنساني آخر، متخذاً من التساؤل الذي طرحه هنري لوفيڤر في خاتمة كتابه منطلقاً لصياغة استنتاجاته: «ما الحامل للعلائق الاجتماعية أهو الشكل؟ فالشكل فراغ. أهي الوظيفة...؟ فالوظيفة وظيفة شيء ما. أهي البنية؟ لكن البنية ليست إلا تنظيم وحدات صغرى في قلب مجموعة».

والسؤال يظل بدون جواب. وما هو جوهري في العلاقات الاجتماعية لا يوجد بدون فسحة. وهذه الفسحة، كما يشير أنطوان مقدسي، تجعل كل مشروع يطرح على مشرحة السؤال وكأننا، كما يقول الباحث، أمام إفلاس للفلسفة الأولى التي غزت الفكر الإنساني طوال ٢٤ قرناً. وقد اختتم أنطوان مراجعته لكتاب هنري لوفيڤر بالدعوة إلى نقله إلى اللغة العربية لما يكتسبه من أهمية قصوى.

مداخلة فاروق عبد القادر[٧]

حاول الناقد المصري فاروق عبد القادر رصد العلاقة بين الكتابة والتاريخ متخذاً المشروع الثقافي في كتابات عبد الرحمن منيف محور اشتغاله. ففي رأيه استطاع عبد الرحمن منيف تصوير مشهد عربي متميز بكل ثقله التاريخي واعتباراته الكبيرة. وقد اعتمد الباحث في استنتاجه على دراسة رواية **مدن الملح** بكل أجزائها الخمسة التي سعى من خلالها الروائي إلى إعادة صوغ هذا التاريخ من أجل استيعاب اللحظة الراهنة بكل تشكلاتها. فالروائي استطاع بحدسه الفني ووعيه العميق بالتاريخ العربي، أن يلملم شتات الصورة التاريخية لهذا الفضاء وإعادة تشكيل قيمه وتجديدها. ويشير فاروق عبد القادر إلى أن علاقة الرواية بالتاريخ لم تنحصر في أعمال منيف الروائية، وإنما عرفت امتدادها في كتابات روائية عربية لكتاب من سوريا وليبيا ومصر. واستطاعت هذه الكتابات، في رأي الباحث، أن ترصد المنعطفات التاريخية لهذه البلدان ومجتمعاتها من خلال تفاعلها الإبداعي المتميز مع كل فضاءاتها وتاريخها. هذا الميل إلى إعادة تشكيل تاريخ المجتمعات تولّد عنه، في رأي فاروق عبد القادر، اصطفاء وهيمنة تقنيات روائية محددة، كالاحتفال بالشخصيات الرئيسية والثانوية. ويصل الباحث من خلال قراءته المتأنية لهذا النوع

(٧) لم توزع مداخلة فاروق عبد القادر.

من الكتابات الروائية إلى خلاصة مفادها أن هذا النوع من الروايات يمثل عملية جوهرية لأجل فهم عميق لإيقاعات الواقع المعيش من جهة، ولاستخلاص دروس المستقبل من جهة ثانية. وما يميز هذا النوع من الروايات، عند فاروق عبد القادر، هو أنها جميعها تتخذ من مظاهر العسف والقهر والنفي والهموم العربية مادة لمحكياتها.

مداخلة الدكتور عبد الفتاح كليطو (المغرب)[٨]

قامت مداخلة عبد الفتاح كليطو على تساؤل عميق وجوهري «كيف يمكننا أن نقدم صورة عن الثقافة العربية في محفل مغاير وفضاء مخالف هو الفضاء الأوروبي؟». من شأن هذا السؤال أن يعيدنا، كما ألمع إلى ذلك عبد الفتاح كليطو، إلى تلك الأسئلة القلقة: أسئلة الاختلاف والتاريخ والثقافة والهوية. وتبقى أهم طريقة نصل بها إلى الآخر ونقدم بها أنفسنا إليه، في نظر عبد فتاح كليطو، هي تقديم صورة ناصعة عن الثقافة العربية، من خلال المراهنة على الثقافة العربية نفسها. ثم وقف الباحث في مستوى ثانٍ عند إظهار كون مقولة إشكالية الترجمة وصعوبتها ما هو إلا تبرير واهٍ ووهم يختلقه الإنسان ليخفي وراءه قصوره الذاتي.

مداخلة الدكتور سليمان الأزرعي (الأردن)

أبرز سليمان الأزرعي في بداية عرضه الحاجة إلى تملك موضوعة الديمقراطية باعتبارها «المخرج الأول من أزمتنا الثقافية وغيرها من الأزمات». فإذا كانت أوضاع المجتمعات العربية تتماثل في مواقف أنظمتها من «البنى الفوقية للمجتمع»، فإن أزمتها الثقافية تظل واحدة؛ فالأنظمة العربية في نظر سليمان الأزرعي، تسعى إلى تكريس رجعيتها، من خلال رفضها استقبال ظاهرة البنى الفوقية للمجتمع العربي حيث يتم تجاهل قوة مستجداتها الساعية إلى تطوير المجتمع نحو الأفضل. وانطلاقاً من هذه الوضعية، عمد الباحث إلى تصوير مشاهد معاناة المجتمع العربي من ضغوط الثقافة الرجعية التي يمارسها «الرجل الشاطر» عبر استغلاله أنماط الثقافة الاستهلاكية، وهو ما تولد عنه، في نظر الباحث، وجود فئتين من المثقفين: فئة تابعة مستغلة لنفوذ «الرجل الشاطر»، وفئة رفضت الانصياع فمورست عليها كل صنوف المحاربة والإقصاء.

تتجلى دعوة الأزرعي في تبني المشروع النهضوي الديمقراطي الإنساني الذي يتم عبر استغلال مجموعة مفاهيم في إطار الفعل الثقافي والسياسي العربي: (العقلانية/ الانفتاح/ استلهام التراث). ويمكن القول بأن هذه المفاهيم تظل، في رأينا، جامدة بدون حركة ولا نبض ما لم تؤطر، كاشتغال معرفي متميز، داخل مسوغاتها الذاتية والموضوعية. ألا يأخذ استلهام التراث عند البعض شكلَ التقديس؟ ألا يجد الانفتاح الجريء امتداداته المتطرفة فيما قام به البعض من انسلاخ مشوه عن مقومات الهوية والانتماء والارتماء في أحضان الآخر؟ أليست العقلانية عند فئة ضرباً من المجازفة بمصائر الشعوب العربية؟ كل هذه الأسئلة وغيرها كثير توضح غياب التأطير المفاهيمي داخل صيغ اشتغال محددة، إذ هيمن، في مداخلة الأزرعي، البعد الشعاراتي الذي يُحركه منطق المثاليات المتعالية عن إيقاع اليومي والمعيش. ولا نبالغ إذا قلنا بأن مداخلة الدكتور سليمان الأزرعي كانت بمثابة «ميثاق للمثقفين العرب» غابت فيه المعاينة الدقيقة لعمق الأشياء المطروحة. لذا جاءت المداخلة غارقة في الإنشائية والخطابية.

الجلسة السابعة

وأدار الجلسة السابعة الأستاذ عبد الحميد عقار الكاتب العام لاتحاد كتاب المغرب وشارك فيها كل من القاصة الأردنية رجاء أبو غزالة والقاص اللبناني عبد المجيد زراقط والباحثة المغربية زهور كرام والناقد السوري عبدالله أبو هيف.

عرض القاصة رجاء أبو غزالة[٩]

في بداية الجلسة تقدمت الأستاذة رجاء أبو غزالة بطرح أسئلة حول واقع الحداثة الإبداعية العربية مشيرة إلى ما يمكن أن تطرحه هذه الأسئلة من إشكاليات إن هي قورنت بأسئلة السياق الثقافي الغربي باعتبارها امتداداً شرعياً لهذه الأخيرة ومولوداً منتسباً إلى جذورها. وتأسيساً على هذا المعطى الحضاري، تقيس رجاء أبو غزالة درجات قوة الفوضى التي تعتري الحديث عن الحداثة ممثلة لذلك بأسئلة المستويات الإيقاعية والصوتية واللغوية في إبداع الشعر. وتنتقل الباحثة في المستوى الثاني من مداخلتها، إلى دراسة مقومات الكتابة النسائية، مقدمة إلى جانب ذلك، بعض عناصر تشكيل خطاب **طوق الحمامة**، منتهية في بحثها إلى كون الحداثة تكمن في الانطلاق من النص لا من النظرية، وأن الحركة الثقافية العربية هجينة ومنقسمة على ذاتها.

مداخلة الأستاذ عبد المجيد زراقط (لبنان)

عرض الدكتور عبد المجيد زراقط «بحث في قضايا يثيرها الإبداع الشعري» عبارة عن دراسة لبعض القضايا الخلافية التي يثيرها الإبداع الشعري ضمن سياقها التاريخي. ولتوضيح رؤيته يعمد إلى تحديد مجموعة من المفاهيم المركزية: الإبداع/ الأنموذج/ التكسب/ الالتزام/ الاحتراف/ التجريب/ الانبعاث.

---

(٨) لم توزع مداخلة عبد الفتاح كليطو.

(٩) لم توزع مداخلة رجاء أبو غزالة.

وقد عرّف الدكتور زراقط الإبداع بأنه كل فعل لا يتقيد بأنموذج... وهو ما يثير في الشعر العربي قضايا من نوع: التفرد، ثبات الأنموذج وسيادته. قصيدة الأنموذج استقام شكلها، كما يرى عبد المجيد زراقط في قصيدة «التكسب» التي تعبر عن «تشكيلة اجتماعية تغيرت فيها وظيفة الشعر ودور الشاعر، الأمر الذي أدى إلى تغير شعري». مفهوم الالتزام في الشعر أملته، في تصور المتدخل، شروط تغير المجتمع العربي، هذا التغير الذي مس البنية العقدية، حيث صار الشعر في خدمة القضية الدينية، في المقام الأول، وهو ما كان له أثر على المستوى الفني للقصيدة العربية. ويذهب الباحث إلى أن ظاهرة الاحتراف في الشعر العربي تعود إلى تطور الدولة العربية وحاجة السلطان إلى الشاعر بوصفه وسيلة إعلام. هذه الظاهرة أثرت على صيرورة القصيدة الشعرية العربية ولم تسمح لها بتجاوز الثابت في شكل القصيدة وأغراضها. وقد حاول عبد المجيد زراقط الربط بين مفهوم التجريب والرغبة في اقتحام تجربة الجديد الذي يشكل الأنموذج الغربي أصلاً من أصولها... في حين قام مفهوم الانبعاث، في الشعر، على أسس الوعي بالذات وامتلاك القدرة على الدفاع عن النفس ضد الآخر الغازي. ويشكل الوزن أحد مرتكزات هذا المفهوم باعتباره مظهر ثبات في القصيدة الشعرية العربية. ولتأكيد هذه الظاهرة عمد عبد المجيد زراقط إلى استحضار العديد من صور الثبات في القصيدة والمتمثلة في: الأوزان الشاذة، عكس البحور، البحور المنطلقة أو المحدثة، والمثنوي الرباعي والدوبيت... هذه الصور التي تشكل تنويعاً على الوزن لا خروجاً عنه. فالأوزان، في نظر زراقط، تتيح «للشعراء الحقيقيين أن يؤسسوا نظاماً جديداً يجسد الرؤية إلى العالم الجديد وهو نظام لا ينفك يتجدد في حركة قلقة لا تنتهي».

مداخلة الأستاذة زهور كرام (المغرب)

ركزت زهور كرام في مداخلتها على إضاءة جوانب من العلاقة التي تربط ما بين المتغيرات السياسية والتبدلات التي تمس الخطاب الروائي، مذكرة بأن مسألة التعالق تعود بأصولها التاريخية إلى أسئلة النهضة التي اعتبرت الرواية ساعتها، بنية مفارقة للمقامة. وتشكل هذه اللحظة، في تصور الباحثة، علامة تحول كبرى. مسألة التعالق ما بين السياسي والإبداعي، خصوصاً في الرواية، يسمح، في رأي زهور كرام، بانعكاس أسئلة الهوية على مرآة الرواية. وتخلص في النهاية إلى أن التجريب هو تعامل مع الواقع من خلال لغات وأدوات جديدة.

مداخلة الناقد عبدالله أبو هيف (سوريا)

انطلق عبدالله أبو هيف في مداخلته «الإبداع العربي والمتغيرات» من ملاحظة أساسية تتعلق بهيمنة القبليات الأيديولوجية والسياسية على تطور مسار حركة الأدب العربي الحديث، وهو ما جعل الإبداع الأدبي يحاكم من خارج المعايير الأدبية. واتخذ الناقد عبدالله أبو هيف من الخطاب النقدي نموذجاً لإبراز ملامح هذه الهيمنة مخصصاً جزءاً هاماً من مداخلته لمناقشة بعض الانتاجات النقدية التي هيمن فيها البعد السياسي، ككتاب **في الثقافة المصرية** لعبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم، الذي ضحى فيه الكاتبان بالعمل الأدبي باسم «الدلالة الاجتماعية العامة أو الدلالة الوطنية والسياسية والموقفية للالتزام بالنظرية المادية». ويلاحظ عبدالله أبو هيف أنه، رغم ما شهدته البنيات الاجتماعية من تحولات وتبدلات، فإنّ الممارسة الأيديولوجية باسم الأدب ما تزال سائدة إلى يومنا هذا. وفي خاتمة مداخلته دعا الناقد عبدالله أبو هيف إلى تغيير النظرة إلى الواقعية من خلال اعتراف بعض النقاد والدارسين «بصعوبة تطبيق مصطلح مجرد على تجربة أو تجارب أدبية محلية ممعنة في خصوصيتها».

في نهاية الجلسة، قدم الأستاذ عبد الحميد عقار قراءة تركيبية للعروض المتنوعة التي أغنت أعمال الندوة وطالت الإبداع الأدبي في جميع جوانبه، مستخلصاً فكرة جوهرية من كل هذه البحوث والعروض المتمثلة في كون الحداثة ستظل قضية إشكالية مادامت لا تتوقف عن الاكتشاف والاستكشاف. وإذا كنا نختلف مع التقييم الإجمالي الذي استعرضه الأستاذ عبد الحميد عقار في العديد من نواحيه، فإننا نقر، مع ذلك، بأن الندوة كانت، فرصة لمصارحة الذات والوقوف عندما يعتريها من نقصان وارتباك في رسمها للمشروع الثقافي العربي وما يكتنف استراتيجية العمل الثقافي من ارتجاج في رسم أفقها المحتمل.

بقي أن نشير إلى أن أشغال «المهرجان العشرين للشعر العربي» الذي أقيم على هامش انعقاد المؤتمر التاسع عشر للأدباء والكتاب العرب كانت من جانبها تجسيداً حياً للارتباك العام الذي طبع أشغال المؤتمر وأعماله. ويكفي أن نعلن عن امتناع الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي عن المشاركة بقراءة شعرية في إحدى الأمسيات الشعرية المواكبة لأشغال المؤتمر، وغيابه عن متابعة القراءات الشعرية، لنقف على المستوى الهزيل لمعظم القصائد المشاركة في هذه الأمسيات.